بسم الله الرّحمن الرّحيم

أخواتنا الفاضلات، إليكنّ سلسلة تفاريغ من دروس أستاذتنا الفاضلة أناهيد السميري حفظها الله، وفّق الله بعض الأخوات لتفريغها، ونسأل الله أن ينفع بها، وهي تنزل في مدوّنة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ)

https://anaheedblogger.blogspot.com/

تنبيهات هامّة:

- منهجنا الكتاب والسّنّة على فهم السّلف الصّالح.

- هذه التّفاريغ من اجتهاد الطّالبات ولم تطّلع عليها الأستاذة حفظها الله.

- الكمال لله -عزّ وجلّ- فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم فيه من خطأ فمن أنفسنا والشّيطان، ونستغفر الله.

والله الموفّق لما يحبّ ويرضى.

اللّقاء الأوّل

دعاء سليمان -عليه السّلام- في سورة

ص

موطن الآية (35):

{قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّن بَعْدِيۖ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ}

مسألة:

تعظيم القرآن الكريم من تعظيم الله -سبحانه وتعالى-

فلنقرأ القرآن ونحن نتلقّى رسائل من الرّحمن

في سورة ص (35) في قصّة سليمان -عليه السّلام- ودعائه كيف كانت مقدّمة القصّة الكلام عن هذا الكتاب العظيم وأثر هذا على فهمنا عطايا ربّ العالمين، وكيف كان سليمان نموذجًا للعبد الشّاكر كما أنّ أيّوب نموذج للعبد الصّابر وكلاهما على خير وكلاهما في كفّة وأهل الفساد والفجور في كفّة أخرى

بسم الله الرّحمن الرّحيم

المقدّمة: مسألة: تعظيم القرآن الكريم من تعظيم الله -سبحانه وتعالى-

السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على نبيّنا محمّد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

نحمد الله حمدًا كثيرًا طيّبًا مباركًا، ونسأله بمنّه وكرمه كما بلّغنا هذه العشر أن يجعلنا ممّن أحسن فيها وقام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا، فإنّ هذه اللّيلة المباركة حولها تطوف آمال العابدين الصّادقين، وحولها تُوَفَّر أوقات المحبّين، والله يحبّ أن يرى عباده فيها قائمين ((مَنْ قَامَ لَيْلَةَ القَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ))[1] وأعظم ما في هذا القيام تلاوة القرآن الّذي أنزله الرّحمن -سبحانه وتعالى- على عباده نعمةً عظيمةً، فهو حبل الله الممدود الّذي من تمسّك به نجا، فتكون هذه اللّيلة المباركة، ليلة القدر، ليلة يقوم فيها الإنسان يظهر للرّحمن ذلّه وانكساره، ويتمسّك بالقرآن وتلاوته فيظهر تعظيمه لربّه وتعظيمه لكتاب ربّه وامتثاله للأمر بتلاوته.

والمعظّم للقرآن هو الّذي:

- ✔ يكون عند تلاوته مخلص النّيّة.
- ✔ يقرأه قراءة من يريد الأجر والثّواب من الله.
- ✔ ويريد زيادة الإيمان بسبب تلاوة القرآن.
- ✔ ويريد أن يزداد علمًا وهو يقرأ في كتاب الله عن الله وعن كماله وجلاله وعظمته وسلطانه.

كيف لا والقرآن كلّه خبر عن الله، وعن استحقاقه -سبحانه وتعالى- للألوهيّة، وكلّ القرآن يرشدنا من هو الرّحمن الرّحيم الّذي له الحمد المطلق، وكلّ القرآن يدلّنا على أنّه لا يحلّ

---

[1] () أخرجه البخاري (1817).

لهذا القلب الّذي خلقه الله أن يمتلئ محبّةً إلّا لله، وأن يمتلئ تعظيمًا إلّا لله، ولذلك يُتوقَّع من أهل القرآن الّذين قاموا به في رمضان أن يكونوا أهل صلاح وإصلاح وأهل التفات للدّار الآخرة، ولو صلح أهل القرآن لصلح النّاس كما يُؤثر عن ميمون بن مهران أنّه قال: "لو صلح أهل القرآن صلح النّاس" واشتهرت مقولة: "يا معشر القرّاء يا ملح البلاد ما يُصلِح الملح إذا الملح فسد".

فلذا هذه اللّيالي المباركة، ونحن نقرأ كلام الله الّذي تكلّم به -سبحانه وتعالى- لا بدّ أن تكون الغاية صلاح النّفس والإصلاح، فنحن نقرأ كلام الله والحمد لله هذه نعمة عظيمة.

وقد ذُكِرَ عن عليّ -رضي الله عنه- أنّه قال: "إذا أردتُ أن يكلمني الله قرأت القرآن وإذا أردت أن أكلم الله قمت إلى الصّلاة"، فقيامنا بالقرآن في هذه اللّيالي المباركة تحرّيًا لليلة القدر نجمع فيها الأمرين:

1) أن نقرأ كلام الله كأنّ الله يكلّمنا.

2) وأن نكلّم الله في ركوعنا وسجودنا.

ومن هذا الأمر ما يشبع المؤمن إذا صلح فؤاده، ولذلك ممّا اشتُهر عن عثمان بن عفان -رضي الله عنه- أنّه قال: "لو طهرت قلوبكم ما شبعت من كلام الله، وما أحب أن يأتي علي يوم ولا ليلة إلا أنظر في كلام الله – يعني في المصحف"، ولذا هذا الرّجل، عثمان -رضي الله عنه- من حبّه للقرآن كان الجمع للقرآن باسمه، فجمع القرآن مرّ بمرحلتين لكن اشتهرت المرحلة الّتي جُمع فيها القرآن وكتبه ونشره في بلاد المسلمين وبقي النّاس يقولون "المصحف العثماني" هذا الرّجل هو الّذي لـمّا أتى أعداء الله ورسوله وتكالبوا عليه وأبقوه ثلاثة أيّام قتلوه صبرًا! ثلاثة أيّام لا يطعم طعامًا، ولا يشرب شرابًا، وهو الرّجل الكبير في السّنّ، الشّيخ الّذي شاب في الإسلام، فلـمّا اعتلوا سطح بيته إرادةً لقتله، نزلوا عليه وهو يتلو القرآن، وقتلوه وهو يتلو القرآن وسقط من دمه على مصحفه كما تذكر الأخبار، فسبحان الله كيف يكون حبّ القرآن سببًا للختم به. فلتكن هذه اللّيالي المباركات سببًا لإظهارنا لحبّ كتاب الله، وأن تكون سببًا لفاتحة خير ما يُهجر بعدها كتاب الله لا في القيام ولا في غير القيام.

ولنعلم أنّ تعظيم القرآن الكريم من تعظيم الله، فكما أنّه -سبحانه وتعالى- عظيم في ذاته فإنّه عظيم في صفاته، فالقرآن الكريم كلام الله وهو من صفاته، والله قد سمّى هذا الكتاب برهانًا ونورًا وهدًى وفرقانًا وشفاءً لما في الصّدور:

- فَعَظَّمَه من أجل أن يُعظّمه المؤمنون.
- وعَظَّمَه ليعلم المؤمنون قدره ويتدبّروه.

وهذا الأمر معلوم مفهوم، أنّه إذا عظّمنا المتكلّم بهذا الكلام العظيم لن يكون عندنا أرفع ولا أشرف ولا أنفع ولا ألذّ من استماع كلامه ومن فهم معانيه فإنّ الله هو قائله، وكما اشتهر: "حبّ القول على قدر حبّ قائله".

فالحمد لله الّذي جعل هذه الأيّام زادًا لنا، نقوم نتحرّى ليلة القدر، ونقرأ القرآن ونعرف بذلك الرّحمن، نعرف أسماءه وصفاته، وتكون هذه الأيّام منطلقًا لما بعدها، فنخرج من هذه الأيّام:

- بتعظيم الله.
- وتعظيم كلامه.
- وتعظيم الصّلاة الّتي نقوم بالقرآن فيها.

ولِيُعْلَم أنّ تعظيم الله والإيمان به يجعل للقرآن مكانًا في القلب، فيتعلّم الإنسان الإيمان ثمّ يتعلّم القرآن، فإذَا تعلّم القرآن ازداد إيمانًا:

- ⇐ فلنحذر جميعًا من أن نقرأ القرآن بصورة المطّلع المثقّف!
- ⇐ ولنقرأ القرآن ونحن نتلقّى رسائل من الرّحمن.

وسنرى إن شاء الله اليوم في تدارسنا لأدعية الأنبياء في سورة ص في قصّة سليمان ودعائه كيف كانت مقدّمة القصّة الكلام عن هذا الكتاب العظيم، وأثر هذا على فهمنا عطايا ربّ العالمين. الله يعلّمنا ويفهّمنا، ويزيدنا يقينًا بكتابه العظيم.

1/ دعاء سليمان -عليه السّلام-

في سورة ص

موطن الآية (35):

{قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ
مِّن بَعْدِيۖ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ}

دعاؤه -عليه السّلام- في موطن سورة ص (35)

{وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ (27) أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ (28) كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ (29) وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ ۚ نِعْمَ الْعَبْدُ ۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ (30) إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ (31) فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ (32) رُدُّوهَا عَلَيَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ (33) وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ (34) قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّن بَعْدِي ۖ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ (35) فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ (36) وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ (37) وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ (38) هَٰذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ (39) وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ}[2].

بسم الله، هذه السّورة كما هو معلوم فيها خبر عن داوود -عليه السّلام- وعن أيّوب -عليه السّلام- وما بين الخبرين أتى الخبر عن سليمان -عليه السّلام- لكن سبق بين الخبر عن داوود وسليمان ورود آيات عظيمة تُخبر عن سُنّة الله في معاملته لخلقه، وقد ابتدأت بقوله تعالى: {وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ} فمعنى ذلك أنّ السّماوات والأرض دليلان غايةً في الوضوح على قدرة الله وعظمته، ومن ثمّ على أنّ هذا الخلق الّذي هو غاية في الإحكام لا يمكن أن يكون باطلًا، لا بدّ أن يكون وراءه من الحِكَم العظيمة الّتي تتجلّى بأن يكون هناك حساب، وعقاب، وجزاء حسن لمن انتفع بما أعطاه الله.

فمن تدبّر في السّموات والأرض ظهر له أنّ وقوع البعث والجزاء لا بدّ منه، من أيّ وجه؟ عندما ينظر الإنسان في كلّ شيء حوله سيجد كلّ شيء موضوعًا في مكانه، جار على مقتضى الحكمة وكمال النّظام، الشّمس في مكانها، والقمر في مكانه، والكواكب جميعها في مكانها، لها بروج ما تتعدّاها تسير فيها ما تتخطّاها، كلّ شيء في مكانه على نظام بديع، إلّا الإنسان فمن المعلوم أنّ من النّاس صالحون نافعون، ومنهم دون ذلك، إلى

---

[2]() سورة ص: 27-40.

أن نصل إلى المجرمين المفسدين، وكثير من الصّالحين لم ينالوا من حظوظ الخيرات الدّنيويّة شيئًا، أو عندهم شيء قليل، وحتّى هذا الشّيء القليل يكون هو مُعرضًا عنه، يجاهد في الارتقاء بنفسه إلى معارج الكمال، في مقابل أنّ المفسدين عكس ذلك، فالمفسدون كلّ تفكيرهم في أن يجلبوا لأنفسهم شهواتهم، ويستعملوا كلّ قواهم لهذا الأمر.

فيصبح النّاس كأنّهم على فريقين:

1. فريق يبذل جهده أن يرتقي معارج الكمال يريد أن يلحق بالملائكة.
2. وفريق يتدنّى متدلّيًا في دركات الشّقاء ليلحق بالشّياطين!

فكانت الحكمة الإلهيّة تقتضي أن يلحق كلّ فريق بشبيهه، متى سيكون هذا؟ لن يكون هذا في الدّنيا أبدًا إنّما ضُرب له موعد السّاعة الّتي:

- يُجمع فيها الصّالحون وهم في أَوْجِ النّعيم مع الملائكة الكرام، والملائكة يرحّبون بهم.
- ويجتمع المجرمون في دركات السّعير مع الشّياطين، والشّيطان يخطب بهم!

فلذا لا بدّ أن يكون هناك يومًا آخر، ولو لم يكن هناك يومًا آخر لذهب صلاح الصّالحين باطلًا، ولعاد فساد المفسدين غُنْمًا عليهم، أرضوا أهواءهم ونالوا مشتهاهم، وهذا مستحيل في حكمة الله، لو لم يكن هناك يوم آخر لأصبح خلق الأرض باطلًا، ولفاز الغَوِيُّ بِغِوَايَتِهِ!

إذًا من يظنّ هذا في ربّ العالمين؟ {وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا} هذا ما يكون إلّا من "ظنّ الّذين كفروا" {فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ} فأتت الآية التّالية تؤكّد هذا المعنى، وتدفع المستقيمين في استقامتهم، وتحذّر المفسدين من فسادهم، فيقول سبحانه وتعالى: {أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ} كيف تتصوّر هذا أيّها الصّائم القائم العابد المتحرّي لليلة القدر المنتظر أن يراك الله قائمًا قارئًا للقرآن ذاكرًا مسبّحًا متدبّرًا؟! كيف تظنّ أن يجعلك الله سواءً مع المفسد في الأرض الضّارب في الأرض فسادًا؟! هذا مستحيل في حكمة الله، لا يمكن أن تظنّ في الله هذا الظّنّ، لا بدّ أن تعلم يا مؤمن أنّه لا يمكن أن يكونوا سواءً، وإذا لم يكونوا سواءً إذًا لن يكون مقامهم في الآخرة سواءً.

وهنا لا تنظر في التّساوي في حال الدّنيا من النّعمة أو البؤس، فليس هذا هو المقصود، وإنّما المقصود:

- انظر إلى أعمالهم وأحوالهم وقلوبهم.
- انظر إلى ماذا يسمع أهل الإيمان، ماذا يقولون، وكيف يصومون.

ولذلك الجملة الّتي بعدها {أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ} أنت يا من تتّقي أن تضع في فيك شربة ماء وأنت في غاية العطش، أو لقمةً وأنت في غاية من الجوع في نهار رمضان وأنت صائم مراقبةً لله ما يمنعك أحد لكن مراقبةً لله، أنت أيّها المتّقي هل تظنّ نفسك مثل الفاجر؟! لا يمكن أن تكون هذه الحال فيها مساواة! فهل من كان يلتزم باتّباع المأمورات واجتناب المنهيّات في الظّاهر والباطن تقيًّا يخاف الله مثل القوم الّذين شعارهم الفجور؟! مستحيل أن يكونوا سواءً!

وهذه من المعاني المهمّة الّتي ندفع بها أنفسنا إلى الاستقامة، ونعرف أنّهم عند الله ليسوا سواءً، فإنّ النّاس الّذين آمنوا فشكروا نعمة العقل، وشكروا نعمة الكتاب الّذي نزل عليهم والّذي سيأتي الخبر عنه، وعملوا الصّالحات فشكروا نعمة الأعضاء، هل يستوي هؤلاء بالمفسدين الّذين صرفوا عقولهم في الباطل وأعضاءهم إلى غير ما خُلقت له؟! هل يستوي المتّقون الّذين يتّقون مخالفة أمر الله رعايةً لمحبّة الله ومراقبة الله، كالفجّار الّذين يخالفون أوامر الله ولا يبالون بعداوته؟! لا يستوون عند الله، فإذا كانوا لا يستوون عند الله إذًا لا بدّ من دار أخرى يُثاب فيها المطيع ويُعَاقَب فيها الفاجر.

وهذا يدلّ العقول السّليمة والفطر المستقيمة على أنّه لا بدّ من مَعادٍ وجزاء، لأنّ النّاس يرون حولهم الظّالم الباغي ممكن أن يزداد مالًا وولدًا ونعيمًا ويموت على ذلك، وممكن أن نرى المطيع يكون مظلومًا وممكن أن يموت بكمده، فلا بدّ في حكمة الحكيم -سبحانه وتعالى- الّذي لا يظلم مثقال ذرّة من ساعة إنصاف، وبما أنّ هذا لا يقع دائمًا في هذه الدّار إذًا لا بدّ أن يكون هناك دار أخرى لهذا الجزاء.

وهذا مؤكّد أنّك تسمعه في القرآن، لذلك أتت الآية التّالية {كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ} إذًا هذا كتاب {مُبَارَكٌ} فيه خير كثير إذا قمت به في ليلة القدر، وفي اللّيالي العشر، وفي رمضان، وفي سائر ليالي العام، فأنت ترث بركةً عظيمةً،

هذا كتاب {مُبَارَكٌ} كثير الخير يلحقك من قراءته وفهمه ودراسته منافع متّصلة بدينك ودنياك، فماذا تظنّ وقت قراءته؟ هذه البركة تستجلبها بتدبّر القرآن، فتتفهّمه، وتتعقّله، وتمعن النّظر فيه، وكلّ بذل من هذا النّوع بأن تفهم ما معنى هذه الكلمات وهذه الجمل المباركات، ما المقصود من وراء هذه الأوامر وهذه النّواهي وهذه الأخبار، كلّ مرّة تبذل جهدك في هذا فإنّك تنزع لنفسك من القرآن بركةً، فنرجو الله القريب المجيب أن يُنزّل علينا من بركات القرآن، وأن يجعلنا مباركين أينما كنّا، وأن يبارك لنا وعلينا، وأن يشملنا ببركاته العظيمة في الدّنيا والآخرة، وأن يعمّ جميع المسلمين الّذين يأتمرون بأوامره بالبركات والخيرات في الدّنيا والآخرة إنّه -سبحانه وتعالى- قريب مجيب.

إذا عرفنا هذا الأمر العظيم وهو أنّ القرآن يزيدك يقينًا أنّ الّذين آمنوا وعملوا الصّالحات ليسوا كالمفسدين، وأنّ المتّقين ليسوا كالفجّار، اقرأه وتأمّل فيه حتّى تصل يقينًا أنّ العطايا لا تأتي كلّها في هذه الدّار.

فيأتي بعد هذا الخبر الكلام عن أنّ الله وهب لداوود سليمان، فهذه القصّة لاحقة بقصّة داوود إلّا أنّه بين القصّتين أتى الخبر عن أنّ دلائل الله على الإيمان الّتي خلقها الله -عزّ وجلّ- تدلّ النّاس على الإيمان منتشرة في السّماء والأرض، وأنّه لا بدّ أن يكون هناك حساب لأنّه لا يمكن أن يساوي الله بين هذا الفريق وهذا الفريق، ولو تأمّلت في القرآن ستجد ما يدلّك على ذلك، كتاب مليء بالبركة فلو أخذت من هذه البركات ما أخذت ستجد أنّ الأمر في زيادة.

تأتي القصّتان التّاليتان قصّة سليمان، وبعدها قصّة أيّوب، بعد قوله تعالى: {أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ} ولو تأمّلنا نكاد نقول أنّه في الدّنيا قد يُعطى أهل الإيمان شيئًا عظيمًا من بركاتها، وقد يُبتلوا بلايا عظيمةً من بلاياها، لكن في النّهاية أيّها المُعطَى خيرات الدّنيا ماذا فعلت؟ وأيّها المُبتلَى ببلايا الدّنيا ماذا فعلت؟

- أيّها المعطى بعطايا الدّنيا إن فعلت مثل سليمان الّذي مدحه الله بأنّه {نِعْمَ الْعَبْدُ} فالحمد لله قد استفدت ممّا أعطاك الله ونجحت.

- وأنت أيّها العبد الّذي ابتُليت ببلايا الدّنيا ماذا فعلت؟ أتشبّهت بأيّوب {نِعْمَ الْعَبْدُ}[3]؟

وبذَا يكون أهل الإيمان صالح عليهم أن يأتيهم من أحوال الدّنيا ما يأتيهم، ليست المفارقة أن يكون هؤلاء عندهم من الدّنيا شيء أو لا يكون عندهم من الدّنيا شيء، عدم التّساوي مبنيّ على عدم تساوي السّلوك، فأنت أيّها المؤمن غنيًّا كنت أو فقيرًا إذا كنت بهذه الصّورة مؤمنًا تقيًّا {نِعْمَ الْعَبْدُ}، لكن إذا كنت غنيًّا أو فقيرًا وكنت مفسدًا فاجرًا فهذا سوء الحال!

إذًا {أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ} سواء كان "الّذين آمنوا وعملوا الصّالحات" مثل سليمان أو مثل أيّوب عندهم من الغِنى ما عندهم، أو كانوا من أهل البلاء في الدّنيا، فإن كنت ابتُليت بعطايا الدّنيا أو ابتُليت بالمنع من الدّنيا، وأنت من "الّذين آمنوا وعملوا الصّالحات" ومن "المتّقين" فأنت ستكون في فريق، وسواءً كان هذا الإنسان قد أُعطي من الدّنيا أو لم يعطَ، هل أنت من المفسدين في الأرض من الفجّار وعندك مال أو ما عندك، وعندك من الدّنيا أو ما عندك فأنت فريق آخر، فإذًا بهذه الصّورة ينقسم النّاس ويختلف الميزان.

ولذلك في هذا الشّهر المبارك الصّوّامون القوّامون الذّاكرون الرّاغبون فيما عند الله، عندهم من الدّنيا أو ما عندهم شيء فإنّ هؤلاء فريق، والمنافقون الفاسدون والفجّار هؤلاء فريق آخر ما يساوي الله -عزّ وجلّ- بينهم.

فأتت قصّة سليمان تحكي لنا قصّة هذا العبد الّذي مُدِحَ {نِعْمَ الْعَبْدُ ۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ} فابتدأت بالإخبار عن أنّه عطيّة من عطايا الله لداوود {وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ ۚ نِعْمَ الْعَبْدُ ۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ} فَمُدِحَ -عليه السّلام- بأنّه "نعم العبد" لأنّه كان أوّابًا، فهو كثير الرّجوع إلى الله في أكثر أوقاته وفي كلّ مهمّاته، وهذا مبنيّ على معرفته لربّه؛ لأنّ رأس المعارف الّتي تجعل الإنسان أوّابًا هو أن يعرف الله، ورأس الطّاعات الاعتراف بأنّه لا يتمّ شيء من الخيرات إلّا بإعانة الله، فهذا يصحّ عليه وصف أنّه {أَوَّابٌ} أن يجمع بين الأمرين:

الأمر الأوّل: بين أن يعرف الله معرفةً تزيده إقبالًا على الله.

الأمر الثّاني: وبين أن يعترف أنّه لا شيء من الخيرات يتمّ إلّا بإعانة الله.

---

[3] () سورة ص: 44.

وحُكِيَ عن هذا العبد الأوّاب قصّة: {إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ} في هذا الوقت وهو من حين العصر إلى آخر النّهار {عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ} هذا وصف للخيل عُرضت عليه لينظر إليها ويقف على كيفيّة أحوالها. و"الصّافنات" نوع من الخيول إذا قُمن يصفن أقدامهنّ، فهذا وصف يدلّ على أنّها فرس جيّدة، على فضيلة في الفرس. والصّفة الثّانية أنّهم جياد، ومعناها أنّها فيها سرعة، إذا وقفت كانت ساكنةً مطمئنّةً في موقفها، وإذا جرت كانت سِراعًا في جريها، فهذا من عطايا الله وخلقة الله، فقال سليمان: {إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ} ثمّ قال: {رُدُّوهَا عَلَيَّ} يعني أن يردّوا عليه الصّافنات.

في هذا الموطن هناك قصّة مشهور عند كثير من المفسّرين أنّه ذُكر أنّ سليمان -عليه السّلام- عندما كان يستعرضها تأخّر عن الصّلاة، فوقع منه ندم على ذلك فردّوها عليه فذبحها، وهذا كما ذكر الطّبري، خبر لا يصحّ ولا يليق بالنّبيّ أن يفعل ذلك بل لـمّا قال: { إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ} "الخير" الّذي يظهر أنّها هي الخيل؛ لأنّ الخيل تُسمّى خيرًا لتعلّق الخير بها كما في الحديث: ((الْخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ))[4] فيكون معناها أنّه أحبّ هذه الخيل المذكّرة له، فهو عبد أوّاب ينتفع بكلّ شيء في سبيل الله.

هي سارت أمامه يستعرضها {حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ} قيل إنّها توارت بالحجاب أي الشّمس غابت لـمّا ردّوها عليه كأنّه في الرّوايات المشهورة لم يرد أن تشغله عن عبادة الله فذبحها، لكن هذا كما تبيّن لنا أمر بعيد، بل إنّ رباط الخيل كان مندوبًا إليه في دينهم وفي ديننا، وسليمان -عليه السّلام- يحتاج هذه الخيل للغزو فهو جلس وأمر بإحضارها وإجرائها ويقول أنّه لا يحبّها لأجل الدّنيا ونصيب النّفس، وإنّما يحبّها لأمر الله وطلب تقوية دينه.

{عَن ذِكْرِ رَبِّي} يعني أنّ هذه تُستخدم في رفع دينه. ثمّ أمر بعودتها، فهي سارت {حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ} حتّى غابت عن بصره، ثمّ أمر من يُروّضها بأن يردّ تلك الخيل إليه، فلمّا عادت إليه طفق يمسح سوقها وأعناقها، وهذا أمر معروف جدًّا عند الخيّالة، فهذه الحركة من أحسن ما يُشعر الخيل بالأمان، الغرض من هذا المسح:

الأمر الأوّل: التّشريف لها والإبانة لعزّتها لكونها من أعظم الأعوان في دفع العدوّ.

---

[4] () أخرجه مسلم (3590).

والأمر الثّاني: أنّه أراد أن يضبط مملكته، ويباشر أكثر الأمور بنفسه، وقد قيل أنّه كان أعلم بأحوال الخيل وأمراضها وعيوبها، فكان وضعه ليده على سوقها وأعناقها كأنّه يمتحنها حتّى يعلم إن كان لديها مرض أم لا.

فهذا والله أعلم هو ما ينطبق مع ما نعرفه عن الأنبياء، خصوصًا أنّ في ذبح الخيل وقتلها إذهاب بمال من مال الله، وأيضًا اتّهام للنّبيّ أنّه ترك الصّلاة، وقد ذكر ابن حزم أنّ "تَأْوِيلِ اَلْآيَةِ عَلى أَنَّهُ قَتَلَ اَلْخَيْلَ؛ إذِ اِشْتَغَلَ بِها عَنِ اَلصَّلاةِ. خُرافَةٌ مَوْضُوعَةٌ مَكْذُوبَةٌ" وذكر أسبابًا لذلك منها أنّها "مُعاقَبَة خَيْلٍ لا ذَنْبَ لَها" وأنّه "إتْلاف مالٍ مُنْتَفَعٍ بِهِ بِلا مَعْنًى، ونِسْبَةَ تَضْيِيعِ اَلصَّلاةِ إلى نَبِيٍّ مُرْسَلٍ، ثُمَّ يُعاقِبُ اَلْخَيْلَ عَلى ذَنْبِهِ لا عَلى ذَنْبِها".

وكما تبيّن لنا فإنّ معنى الآية حين أخبر أنّه أحبّ حبّ الخير من أجل ذكر ربّه، يعني أحبّ هذه الخيل من أجل ذكر ربّه حتّى توارت الشّمس، أو حتّى توارت الصّافنات فغابت عن الرّؤية، فأمرهم بأن يردّوها فطفق مسحًا بسوقها وأعناقها بيده برًّا بها وإكرامًا لها، وليس في الآيات أيّ إشارة لقتل الخيل وتعطيل الصّلاة والله أعلم، وهذا تجدونه إن شاء الله في تفسير محاسن التّأويل[5] نقل عن ابن حزم هذا القول. الشّاهد هنا سيأتينا بعد هذا.

أتى قوله تعالى: {وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ} وهذه أيضًا أحد المحن الّتي ابتُلي بها سليمان -عليه السّلام- وفي هذه المحنة فهمنا أنّ الله -عزّ وجلّ- ابتلاه واختبره بأمر ليس لدينا تفاصيله إنّما كان اختبارًا له في شأن مُلكه. وهنا أيضا يُذكر من الإسرائيليّات الشّيء الكثير.

وقد ذكر صاحب أضواء البيان أنّ كلّ هذه الرّوايات لا تليق بمنصب النّبوّة، وقد ذكروا أنّ الشّيطان أخذ خاتم سليمان وجلس على كرسيّه! كلّ هذا لا يليق بمقام النّبوّة، لكن الّذي نفهمه باختصار أنّ هذا كان ابتلاءً من الله واختبارًا لسليمان -عليه السّلام- ووقع من سليمان -عليه السّلام- ما وقع ثمّ أناب إلى ربّه، يعني أمر عرض وزال بدليل أنّ الله قال: {ثُمَّ أَنَابَ} إلى ربّه بالتّوبة والاستغفار.

---

[5] () محاسن التّأويل، القاسمي، تفسير الآية (33) سورة ص.

وهنا يأتي الشّاهد لنا وهو أنّه مهما ينوب الإنسان من أمور يخالف فيها أمر الله، فليكن سريع الأوبة إلى الله، سريع العودة إلى الله، ولذلك أتى الخبر هنا عن سليمان من أجل أن نسارع مثل مسارعته بغضّ النّظر عمّا وقع علينا من ابتلاء وفتنة.

{وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ} ابتليناه ببلاء {وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا} الله أعلم بمعنى هذا، يُحتمل أن تكون قصّة فتنته ما جاء في صحيح البخاري: ((عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : قَالَ سُلَيْمَانُ : لَأَطُوفَنَّ اللَّيْلَةَ عَلَى تِسْعِينَ امْرَأَةً ، كُلُّهُنَّ تَأْتِي بِفَارِسٍ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ : قُلْ : إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، فَلَمْ يَقُلْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، فَطَافَ عَلَيْهِنَّ جَمِيعًا فَلَمْ يَحْمِلْ مِنْهُنَّ إِلَّا امْرَأَةٌ وَاحِدَةٌ ، جَاءَتْ بِشِقِّ رَجُلٍ ، وَايْمُ الَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ، لَوْ قَالَ : إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، لَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فُرْسَانًا أَجْمَعُونَ))[6] النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- لم يُشر إلى أنّ هذا تفسيرٌ للآية، لكن كون أنّها ((جَاءَتْ بِشِقِّ رَجُلٍ)) هذا الأمر الّذي يمكن أن نتمسّك به أنّ ذلك النّصف من الإنسان هو الجسد الملقى على كرسيّه، فهنا الفتنة أتت على خيبة أمله وعلى أنّه خالف ولم يعلّق بالمشيئة، فهذا أَوْلَى من أيّ تفسير آخر فيه تنزيل لمقام سليمان -عليه السّلام- عن النّبوّة.

أيًّا كان الخطأ الّذي وقع فيه سليمان فإنّه مباشرةً أناب، ولـمّا أناب وعاد وتاب إلى ربّ العالمين، فارق أن يكون مثل المفسدين العاصين الّذين يذنبون ويستمرّون ويصرّون، بل هذا نبيّ كريم فُتن، اختُبر وابتُلي ثمّ أناب وعاد إلى ربّه، فماذا قال؟ {قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي} وهذا هو أهمّ المطالب، أن يطلب الإنسان الغفران من ربّ العالمين.

وليس هناك مثل هذه اللّيالي الفاضلات في طلب المغفرة والعفو من ربّ العالمين، فإنّ المؤمنين لا بدّ أن يروا أنّ هذه ليالٍ عظيمة دُرّة ليالي العام، فليغتنموها وليكرّروا طلب الاستغفار، ونفس قيام اللّيل عمومًا في رمضان وتحرّي ليلة القدر خصوصًا من أسباب المغفرة، وإذا غُفر للإنسان ذنبه وعُفي عنه فإنّ هذه الحال أكمل أحوال الإنسان أن يأتي ربّه وليس عليه ذنب، وأن يكون ممّن عتقه ربّه من النّار، فماذا يكون فوق هذه العطيّة؟ لا عطيّة فوق هذه العطيّة.

---

[6]() أخرجه البخاري (6292).

ثمّ طلب سليمان من ربّنا طلبًا يخصّه، قال: {وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّن بَعْدِي} يعني لأحد غيري، يعني مُلكًا عظيمًا هبةً منك وفضلًا وامتنانًا {إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ} وهذا كالتّعليل للدّعاء بالمغفرة والهبة معًا، فإنّ المغفرة هبة منك يا ربّ، وعطايا الدّنيا هبة منك، لكن لا أعظم من هبة المغفرة، فسليمان -عليه السّلام- نشأ في بيت الملك والنّبوّة وورثهما معًا، فلمّا أناب وعاد إلى ربّه طمع في الله ورجا منه وهو الوهّاب.

وهذا الّذي يجب أن يكون في قلوب المؤمنين أن يكونوا من الله خائفين وفيه طامعين:

✔ **خائفين**: فيطلبوا العفو والمغفرة والصّفح.

✔ **طامعين**: فيشتكوا له كلّ الأحوال ويطلبوا منه كلّ ما يريدون، ويسألوا الله أن يُصلح لهم كلّ فاسد، يصلح لهم أبناءهم وأزواجهم وبيوتهم وأموالهم، وأن يجعلها هبةً منه وعطيّةً طيّبةً نافعةً تنفع العبد عند ربّه.

كان هذا نموذجًا عظيمًا من نماذج الإقبال والدّعاء، أخطأ فلم يجعل خطأه حاجزًا عن ربّه أبدًا إنّما:

- {أَنَابَ}.
- و{قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي}.
- {وَهَبْ لِي}.

فأقبل على ربّه بالخوف والرّجاء، بطلب الغُفران والطّمع فيما عند الله، فقال الله عزّ وجلّ: {فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ} وحكى -سبحانه وتعالى- ما أعطاه فقال: {هَٰذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ} فأعطِ من شئتَ وامنع من شئتَ فالله -عزّ وجلّ- أعطاك التّصرّف وقد كان له مَكَانَةٌ {وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ} في الآخرة مع مالَه من الملك العظيم في الدّنيا، له حسن المآب الّذي هو الجنّة، وهذا سببه أنّه مُقبل على ربّه منيب {نِعْمَ الْعَبْدُ ۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ} فكان نموذجًا للعبد الشّاكر، كما أنّ أيّوب نموذج للعبد الصّابر، وكلاهما على خير وكلاهما في كفّة وأهل الفساد والفجور في كفّة أخرى.

نعوذ بالله من الفساد والفجور ونسأله -سبحانه وتعالى- أن يقبل منّا الطّاعات، وأن يجعلنا من الّذين آمنوا وعملوا الصّالحات من المتّقين الّذين لا يساوون الفجّار، اللّهمّ آمين.

سبحانك اللّهمّ وبحمدك، أشهد أن لا إله إلّا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

اللّقاء الثّاني

دعاء سليمان -عليه السّلام- في سورة النّمل

الموطن الأوّل: الآيات (15-19):

{وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ (15) وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ ۖ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ (16) وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (17) حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (18) فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ}

مسألة:

حقيقة فقر الإنسان لربّه (2):

الافتقار إلى ربّ العالمين هو عنوان لصلاح الإنسان.

صور واضحة لافتقار الأنبياء تمثّلت في الدّعاء.

المقدّمة: مسألة: حقيقة فقر الإنسان لربّه

السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على نبيّنا محمّد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

نحمد الله حمدًا كثيرًا طيّبًا مباركًا، ونسأله بمنِّه وكرمه أن يزيدنا علمًا وإيمانًا، وأن يجعل هذه الأيّام أيّامًا مباركات علينا وأن يجعلها ليالي مباركةً علينا وعلى المسلمين جميعًا، نغترف فيها من الخيرات ما يكون زادًا لنا للقاء ربّنا ونحن في خير حال. نسأل الله بمنّه وكرمه أن يتقبّل منّا ما مضى، وأن يعيننا على ما بقي في هذا الشّهر المبارك، وأن يعطينا من بركاته -سبحانه وتعالى- ما يجعلنا مباركين أينما كنّا.

الافتقار إلى ربّ العالمين هو عنوان لصلاح الإنسان:

كنّا ولا زلنا نتكلّم عن هذه العبادة العظيمة وهي عبادة الدّعاء الّتي يظهر من أصحابها الافتقار إلى ربّ العالمين الغنيّ الكريم، الافتقار الّذي هو عنوان لصلاح الإنسان، فإنّ المرء في حقيقته فقير إلى الله {يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ}[7] هذا الفقر جعله الله -عزّ وجلّ- موجودًا في فطرنا، فنحن مخلوقون على خلقة تجعلنا دائمًا محتاجين إلى الهواء نتنفّسه، وإلى الماء نشربه، وإلى الطّعام نأكله، وطول الوقت نحن في حاجة، فهذه الصّفة الّتي خُلقنا عليها إذا انتفعنا منها حقّ الانتفاع ستكون سببًا لفرارنا إلى الله؛ لأنّه لا عبوديّة إلّا بشعور الفقر إلى الله، وهذا الشّعور "الافتقار إلى الله" شرف للأنبياء والمرسلين، شرف للعابدين الصّالحين، شرف لجميع الخلق.

[7]() سورة فاطر: 15.

صور واضحة لافتقار الأنبياء تمثّلت في الدّعاء:

ونحن قد مرّ معنا فيما مضى صور واضحة لافتقار الأنبياء تمثّلت في الدّعاء:

- آدم -عليه السّلام- لـمّا ذاق الشّجرة افتقر إلى الله فقال: {قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ}[8].
- نوح -عليه السّلام- في موقف الغرق وقع منه هذا الافتقار لـمّا سأل ربّ العالمين عن حال ابنه، فقال له ربّ العالمين مبيّنًا حال ابنه أنّه ليس من أهلك: {إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ}[9] فظهر افتقاره {قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ}[10].
- أيّوب -عليه السّلام- أظهر افتقاره لـمّا اشتكى فقال: {أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ}[11].
- يونس -عليه السّلام- أظهر افتقاره لـمّا نادى في الظّلمات: {لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ}[12].
- موسى -عليه السّلام- أظهر افتقاره بأصرح ما يكون: {رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ}[13].

وسنقرأ ونقرأ في كلام الأنبياء إلى أن ننتهي إلى نبيّنا محمّد -صلّى الله عليه وسلّم- فنجده سيّد الأوّلين والآخرين في افتقاره، وقد مررنا على افتقار إبراهيم -عليه السّلام- فكلّ هذا يوجّه نظرنا إلى جهة معيّنة، وهو أنّ هذه العبادة العظيمة الّتي هي عبادة الدّعاء لا بدّ أن تُبنى على هذه الحقيقة الفطريّة وهي حقيقة الافتقار، ولا بدّ أن نفهم أنّ هذا الافتقار عندما نصرفه عند باب الله يكون لنا عزّةً، وعندما نصرفه عند غير باب الله يكون علينا ذُلًّا! فنحن لا نستغني عن ربّ العالمين ولا لحظةً ولا نفسًا، ويكون الإنسان قد قضى على نفسه لو ظنّ أنّه مستغن عن ربّه!

---

[8]() سورة الأعراف: 23.
[9]() سورة هود: 46.
[10]() سورة هود: 47.
[11]() سورة الأنبياء: 83.
[12]() سورة الأنبياء: 87.
[13]() سورة القصص: 24.

وفي مقابل هذا ربّ العالمين غايةً في الغنى عن خلقه، إنّما أرشدهم للطّريق المستقيم وعلّمهم ما به يرتفعون ويسمون وينجون، فضلًا ومنّةً منه -سبحانه وتعالى- فإنّ من شكر شكر لنفسه، ومن كفر فإنّ الله غنيّ عن العالمين، وهنا معان كثيرة تحتاج إلى:

- بيان وفهم ومعرفة حقيقة العبادة الّتي يمثّلها الدّعاء.
- ومعرفة منّة الله على الخلق بخلقهم، وببثّهم، وبالإنعام عليهم، وبما رتّب لهم من جزاء.

بأمر الله يظهر لنا هذا المعنى ونحن نتدارس دعاء سليمان -عليه السّلام- في سورة النّمل، فلن نتدارس القصّة بل نتدارس سياقها الأوّلي من أجل أن نصل إلى الدّعاء الّذي دعاه في سورة النّمل.

ملخّص ما سبق في الموطن الأوّل من سورة ص (34-37)

قد مرّ معنا في لقائنا أمس دعاءه في سورة ص، وكيف أنّ الله قد أنعم على سليمان نِعَمًا عظيمةً، اختُبر اختبارات منها كما مرّ معنا لـمّا قال ربّنا في سورة ص: {وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ}[14] ورأينا أنّ أقرب ما يكون لهذا المعنى هو الحديث الّذي ورد في البخاري، وفيه أنّ سليمان -عليه السّلام- قال: ((لَأَطُوفَنَّ اللَّيْلَةَ عَلَى تِسْعِينَ امْرَأَةً)) وما قال إن شاء الله، لم يستثن في أنّهنّ ((كُلُّهُنَّ تَأْتِي بِفَارِسٍ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، ... فَطَافَ عَلَيْهِنَّ جَمِيعًا فَلَمْ يَحْمِلْ مِنْهُنَّ إِلَّا امْرَأَةٌ وَاحِدَةٌ ، جَاءَتْ بِشِقِّ رَجُلٍ))[15] فالّذي يظهر أنّ هذا هو اختباره.

أمام هذا الاختبار ما كان من سليمان -عليه السّلام- إلّا العودة والأوبة والإنابة {ثُمَّ أَنَابَ} أناب إلى ربّه بالتّوبة والاستغفار {قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي} وطلب من ربّنا، وهذا دليل على أنّ العبد يندفع إلى باب ربّه راهبًا وراغبًا {اغْفِرْ لِي}.

وطلب من ربّه الوهّاب أن يهب له {مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّن بَعْدِيۖ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ}[16] أنت صاحب الملك، كأنّه يقول: "طمعي في المغفرة وطمعي في الملك لأنّ وصفك أنّك وهّاب، فمغفرتك هبة والملك الّذي تعطيني إيّاه هبة" هذا المعنى ظهر جليًّا في سورة النّمل.

ففي سورة النّمل أخبرنا -سبحانه وتعالى- عن ملك سليمان الّذي وهبه الله له بشيء من التّفصيل. أمّا في ص أتى: {فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ}[17] وأخبر -سبحانه وتعالى- أنّ {الشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ}[18] فهذا كان بالإجمال.

---

[14] () سورة ص: 34.
[15] () أخرجه البخاري (6292).
[16] () سورة ص: 35.
[17] () سورة ص: 36.
[18] () سورة ص: 37.

2/ دعاء سليمان -عليه السّلام-

في سورة النّمل

الموطن الأوّل: الآيات (15-19):

{وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ (15) وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ ۖ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ (16) وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (17) حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (18) فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ}

دعاؤه -عليه السّلام- في الموطن الأوّل من سورة النّمل (15-19)

في سورة النّمل أتى شيء من التّفصيل في الخبر عمّا أعطاه الله لسليمان -عليه السّلام- نسمع الآيات ثمّ نكمل بأمر الله:

{وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ (15) وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ ۖ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ (16) وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (17) حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (18) فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ}[19].

هنا موطن الشّاهد في هذه القصّة، حيث الدّعاء الّذي نريد بيانه، ثمّ إن شاء الله يأتينا بعد ذلك أيضًا اعتراف سليمان -عليه السّلام- بحقيقة هذا العطاء، لكن لنبدأ من مبدأ القصّة.

هذه السّورة المباركة سورة النّمل وردت فيها قصّة موسى -عليه السّلام- وإرساله إلى فرعون، وكيف أنّ في إرساله لفرعون آيات وعبرًا، وفي هذه السّورة أتى خبر خاصّ عن قصّة موسى وفرعون، قال فيه سبحانه وتعالى: {فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ (13) وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ}[20] فهذه هي الحالة بإيجاز، كيف أنّهم يعرفون أنّ موسى على حقّ ولكنّهم جحدوا الآيات، وهذه الآيات أتتهم واحدةً بعد أخرى، كلّها كانت قبل الغرق واستيقنوها يقينًا، كان السّبب هو الظّلم والعلوّ! والظّلم والعلوّ مشاعر ضدّ الافتقار والاعتراف بحقّ الله، تكبّرًا عن الانقياد وهربًا من الافتقار إلى الله، فقال سبحانه وتعالى: {فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ} من إهلاكهم بالإغراق لغرقهم في بحر الفساد والإفساد.

مقابل هذا يحكي لنا -سبحانه وتعالى- قصّة داوود وسليمان، وفي سورة النّمل هذه القصّة أتى معها الخبر عن ملكة سبأ وما رأته من الآيات، وإيمانها أنّه نبيّ، واتّباعها له، وإيمانها

---

[19]() سورة النّمل: 15-19.

[20]() سورة النّمل: 13-14.

بربّ العالمين، فهذا فيه إظهار لفضيلة ملكة سبأ إذْ لم يصدّها مُلكها عن الاعتراف بملك سليمان فآمنت به، في مقابل أنّ فرعون صدّه مُلكه عن الإيمان.

ولذلك أتى تفصيل الكلام عن سليمان في سورة النّمل أكثر من الخبر عن داوود -عليه السّلام- إنّما قال الله سبحانه وتعالى: {وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا} هذه هي الهبة الحقيقيّة أن يُعطى الإنسان علمًا، فيكون هذا العلم سببًا ليقينه وبصيرته، فكلّ من داوود وسليمان قال شكرًا لما أوتيه من العلم: {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا} فضّلهم بماذا؟ بما خصّهم من علم، وهذا العلم مثل أن علّمه صنعة لبوس، أو علّمه منطق الطّير، أو أيًّا من هذه الأمور الّتي علّمهما الله إيّاها كانت سببًا لزيادة إيمانهما وليست سببًا لبعدهم عن الله، فهذا هو المؤشّر لصحّة العلم أن يكون المعلوم الّذي نتعلّمه سببًا لزيادة إيماننا.

كلّ علم يجعلنا:

- أعرف بالله.
- وأكثر انكسارًا لله.
- وأكثر افتقارًا له.

هذا سيكون سائرًا في العلم المحمود، فالتّفضيل بين الخلق إنّما يكون على حسب ما معهم من علم، بل إنّ النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- قال في حقّ معاذ -رضي الله عنه- ذاك الشّابّ المليء بالعلم، قال عنه -صلّى الله عليه وسلّم- أنّه يُحشَر ((أَمَامَ الْعُلَمَاءِ بِرَتْوَةٍ))[21] يعني يتقدّم علماء أمّة النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- بمنزلة، فالنّاس يتفاضلون بما معهم من علم، ويظهر هذا بمقدار شكرهم لهذا العلم.

{وَقَالَا} أي كلّ واحد منهما قال: {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا} التّفضيل بالعلم {عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ} يعني كأنّه مع اشتراكنا في الإيمان لكن فضل العلم يجعل الإنسان متقدّمًا على أهل الإيمان، فأهل الإيمان فوق كلّ الخلق، ولا يستوي أهل الإيمان بغيرهم، وهذا معنى قد تكرّر في القرآن كثيرًا "لا يستوون" أهل الإيمان بغيرهم، لكن أهل الإيمان بأنفسهم بينهم تفاضل فمن كان عنده علم تقدّم على غيره. فهذا أوضح دليل على فضل العلم وشرف

---

[21]() أخرجه الطّبراني (557).

أهله؛ لأنّ داوود وسليمان -عليهما السّلام- جعلا هذا مدار شكرهما وأساس الفضل رغم أنّهما أُعْطِيَا مُلكًا عظيمًا، وهذا الأمر منهما يجعلنا:

- ✔ كلّما تعلّمنا شيئًا حمدنا ربّنا على ما آتانا من علم.
- ✔ ويجعلنا أكثر افتقارًا إلى الله.
- ✔ وأكثر تواضعًا للخلق.
- ✔ وأنّ الإنسان يعتقد أنّ الله هو الّذي فضّله وأنّ التّفضيل بالعلم.
- ✔ وأنّ الله -عزّ وجلّ- قد فضّل غيره وفوق كلّ ذي علم عليم، يعني عندما تتعلّم ترى أنّ هذا فضل الله عليك، وترى أنّ هذا الّذي يميّزك فما تكون ساكنًا أمام أهل الأموال أو أهل الجاه وترى نفسك وضيعًا، وفي نفس الوقت ترى أنّه إذا كان عندك علم فقد علّم الله غيرك أكثر منك.

وهذا هدي عظيم يجعلنا كلّما زدنا معرفةً بآية أو بحديث، كلّما زاد فهمنا لكتاب الله وزاد فهمنا لسنن الله، زدنا حمدًا لله، فزادنا الله من فضله.

ولذا قد ورد عن النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- أنّه كان حين يصلّي الفجر يدعو دعاءً يخطّ به خطّته اليوميّة: ((اللهم إني أسألُكَ علمًا نافعًا، ورزقًا واسعًا، وعملًا مُتَقَبَّلًا))[22] فجعل مبدأ المطالب هو العلم النّافع، وهو حقًّا مبدأ المطالب، ولذا تجد أُناسًا الإيمان في نفوسهم كالجبال الرّواسي والسّبب العلم، الله يعلّمنا ويفهّمنا ويجعل أثر العلم يقينًا، ويجعل القرآن في قلوبنا ربيعًا.

يقول سبحانه وتعالى: {وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ} وهنا سنكرّر نفس المعنى، أنّ هذه وراثة علم ودين وليست وراثة مال، فتعلّم وتديّن على يد والده. فسليمان الّذي عليه يدور الخبر في سورة النّمل يقول مُشْهِرًا لنعمة الله، وسيتبيّن لماذا يقول هذا الأمر، يقول: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ} من العلم الدّقيق الّذي تعلّمه سبحان الله فقد تعلّم معنى أصوات الطّيور الّتي يحدّث بعضها بعضًا بأصواتها سواءً كان الطّاووس أو الهدهد

---

[22]() أخرجه الألباني (233).

أو البلبل، كلّ هذه الأنواع المختلفة العجيبة من خلقة الله الّتي لها أصوات، فعُلِّمَ سليمان -عليه السّلام- منطق الطّير.

وفي القصّة سيتبيّن أنّه ليس فقط منطق الطّير وإنّما منطق الحيوان كلّه؛ لأنّه ستأتي القصّة عن النّمل فيسمعها ويفهم ما تقول، وهذا من أعجب العجب وألطف العلم أن يتعلّم علمًا يجعله يعرف أنّ كلّ ما في الكون يسبّح لله ويشهد لله بالوحدانيّة.

علّمه الله فسبحان الله العظيم! والله -عزّ وجلّ- يقول: "وأوتيت كلّ شيء" يعني كلّ ما يهمّه من أمر الدّنيا والآخرة، النّبوّة والملك وتسخير الجنّ والإنس والشّياطين والرّيح، فهو الآن يقول للنّاس أنّ هذه من نعمة الله علينا وأراد بـ "عُلّمنا" و"أُوتينا" بيان حاله وصفته من كونه مَلِكًا مُطاعًا، لكن لا تجبّر ولا تكبّر، وإنّما تمهيد لما أراد منهم من حسن الطّاعة والانقياد له في أوامره ونواهيه، فهو يريد أن يبيّن لهم أنّ هذه منزلته من العلم ومن المعرفة ومن نِعَمِ الله عليه، فيقول للنّاس أطيعوني، وهذا يشبه قول رسولنا الكريم -صلّى الله عليه وسلّم- الّذي قاله على سبيل الشّكر والحمد لله لـمّا قال: ((أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ القِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ))[23] يعني أقول هذا القول شكرًا لله لا فخرًا ممّا يترتّب عليه طاعة النّاس له.

فسليمان -عليه السّلام- قال للنّاس هذا الأمر ولعلّه كما ذكر بعض المفسرين، رتّب على هذا الكلام دعوة النّاس إلى الغزو أو دعوتهم إلى العمل فقال لهم: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ} هذا فضل واضح لا يخفى على أحد.

ونكرّر بأنّ منطقه هنا ليس منطق فرعون الّذي خرج يذمّ موسى ويتباهى بملكه، إنّما هذا منطق من يعرف ربّه متحدّثًا بنعمة الله ومنوّهًا بمنّته، فهو قول وارد على سبيل الشّكر والحمد لربّ العالمين.

ثمّ يأتي موقف من المواقف الّتي يظهر فيها حمده الخاصّ، فقال الله عزّ وجلّ: {وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ} جُمع له عساكره الّذين كانوا {مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ} كانت دولته من الثّقلين وغيرهم أيضا {فَهُمْ يُوزَعُونَ} يعني يُحبس أوائلهم على أواخرهم فيصيرون مثل العسكر يُضمّ بعضهم إلى بعض، ويكون لهم سيرًا مرتّبًا لا يتيهون فيه ولا يضيعون، وكان له ترتيب عجيب في هذه المملكة الكبيرة العظيمة. وبالإضافة إلى هؤلاء الرّيح وما تفعل

---

[23]() رواه التّرمذي (3706).

فكان يأمر الرّيح العاصف تحمله، ويأمر أنواعًا من الرّيح يتصرّف بها، فسبحان ربّنا العظيم كيف يُـمَلِّكُ عبدًا من عباده هذه الأمور ويكون شاكرًا لله!

لو قورن حال هذا العبد الشّاكر، سليمان -عليه السّلام- بحال فرعون، لا مقارنة من جهة الـمُلك ومن جهة الشّكر. ففرعون الّذي كان يرى أنّ مُلكه عظيم وهو عظيم من جهة المساحة ومن جهة الخلق لكن مقابل مُلك سليمان كان شيئًا لا يخطر على البال ولا يمكن استيعابه إلّا بفهم الآيات القرآنيّة.

أتى هذا الجيش المحشور الّذي وهب الله -عزّ وجلّ- لسليمان التّصرّف فيه وتسييره، حُشر وجُمع هؤلاء الجنود وساروا وكأنّهم في تدريب، وهذه من واجبات الملوك الّذين يكون جنودهم حاضرين دائمًا، وليكون هو عارفًا بقدراتهم، فهذا التّدريب يشعرون فيه بما ينقصهم، أو يرون فيه ثغراتهم حتّى إذا ما أتى وقت الجهاد في سبيل الله يكون وقتًا فيه تشويش للأذهان عند اللّقاء، فهذا التّدريب بمثابة تجهيز، وكان من حال سليمان -عليه السّلام- أن يجاهد في سبيل الله.

ففي طريقهم هذا أتَوْا على واد النّمل، كلمة "وادي" الّذي يظهر أنّها مُرادة، يعني أنّ النّمل له شقوق ومسالك كالأودية للسّاكنين من النّاس، والنّمل معروف بأنّه يسكن في شقوق من الأرض مختلفةً في أحجامها وفي أوضاعها، لكن شاهدنا نملة فصيحة يعرف سليمان -عليه السّلام- منطقها.

فالجيش بما أنّه يتدرّب أكيد أنّ له صوتًا وله فخامةً، فسمعت هذه النّملة الجيش وشعرت بقدومه، ولـمّا رأتهم متوجّهين إلى الوادي فرّت منهم وصاحت صيحةً تُنبّه بها جماعتها تخاطبهم فتقول لهم: {يَا أَيُّهَا النَّمْلُ}، من سيفهم هذا القول؟ سليمان -عليه السّلام- تأمرهم أن {ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ} وهذا منتهى العقل، لأجل أن تهربوا من أن يحطمكم سليمان وجنوده الكثيرين، لكنّها استدركت فقالت: {وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ}، يعني أنّ هذا يصدر منهم في حال عدم شعورهم بمكانهم، فهذا حسن ظنّ منها أنّها ما ظنّت أنّ سليمان وجنوده مفترون.

ولكن هذا أمر عجيب جدًّا! أنّها تعترف وهي نملة، وتسمّي سليمان وجنوده بالصّلاح والرّأفة وأنّهم لا يقتلون ما فيه روح لغير مصلحة، فإذا كانت النّمل تعرف عن سليمان هذا الشّيء، فهذا تنويه برأفته وعدله وأنّه ما جرى منه فساد، فسبحان الله كيف هذا التّوفيق

العظيم، حتّى النّملة ما ظُلِمَت! وهذا من أجل أن نتأكّد أنّ العدل له شرف عظيم، الله يوفّقنا له، فكلّ منّا مُعَرَّض أن يَظلم أو أن يُوفّق فيعدل بين أبنائه، بين المتخاصمين، بين أقربائه، حتّى في تفكيره.

فلننظر إلى هذه النّملة الّتي وصلها خبر عن عدل سليمان، وكانت متأكّدةً أنّه لا يمكن أن يفعل هذا تعمّدًا، وكيف أنّها أخذت إجراءات احترازيّةً بأن قالت لهم: {ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ} مثلما قيل لنا ابقوا في بيوتكم، فهذا من باب الاحتراز، لذا كان موقف سليمان منها غايةً في اللّطافة.

يقول الله عزّ وجلّ: {فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا} هذا من السّعادة أن يشعر في هذا الموقف بأمور كثيرة:

أوّلًا: كونه عُلِّمَ مَنطق الطّير وعُلِّمَ مَنطق الحيوانات والحشرات وكلّ هذه المخلوقات، فهذه نعمة عظيمة.

ثانيًا: كونه شاع عنه واشتهر عنه هذه الحال هو وجنوده أنّه من أهل التّقوى والشّفقة، شاع بين هذه المخلوقات الّتي هي أبعد شيء عن إدراك هذه الأمور، وتبسّم تعجّبًا من حذرها واهتدائها إلى تدبير مصالحها، ومصالح بني نوعها.

فإذًا هذا التّبسّم لشعوره بما خصّه الله -عزّ وجلّ- من علم بأن أدرك همسها وفهم مرادها، وشعوره بشهرة حاله وحال جنوده في باب التّقوى والشّفقة حتّى على هذه الأصناف، كيف وصل لهذه النّملة الخبر عن سليمان؟! وتبسّم تعجّبًا من حذرها واهتدائها إلى تدبير مصالحها ومصالح بني نوعها.

وأمام هذا توجّه لربّ العالمين بالشّكر: {وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ} وهذا هو مقصودنا، أن نرى كيف أنّه عندما يبادرنا الله بالنّعم كيف يكون جواب المؤمنين الأتقياء مخالفًا لجواب المتكبّرين الّذين يصدّون عن سبيل الله، كيف يشعر الإنسان بنعمة الله فيقول: {رَبِّ أَوْزِعْنِي} يعني اجعلني أَزَعُ شكر نعمتك عندي وأَكُفُّ عن أن ينقلب عنّي، حتّى أكون دائم الشّكر لك، فاجعل هذا من حالي وطبعي، ما أتغيّر، ألهمني هذه الحال، حال الشّكر حتّى لا أنفكّ عن شكرك أصلًا {أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ} وأنا أعترف أنّ هذا كلّه من نعمتك، ما لي فيها إلّا أن أستقبلها، فأنت تُنزّل عليّ نعمتك وأنا

مستقبل لها. {الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ} فاعترف بنعمة الله -عزّ وجلّ- عليه، وزاد بالاعتراف بنعمة الله على والديه، وهذا من قوّة شعوره بالنّعم وتسلسلها.

فأوّل الأمر قال: {أَوْزِعْنِي} وهذه كلمة مهمّ أن نفهمها جيّدا، الوَزَعُ أصلها بدون الهمزة، وَزَعَ بمعنى كفّ. والهمزة هنا يسمّونها همزة الإزالة، "أوزعني" يعني أزل الوزع، إذا كان وَزَعَ بمعنى كَفَّ، أوزع بمعنى أزل الكفّ، فكلّ شيء يكفّني أو يمنعني عن شكرك أزله يا ربّ العالمين، إذًا معنى ذلك وفّقني دائمًا إلى شكرك وألهمني دائمًا شكرك واجعلني مرتبطًا دائمًا بهذا الشّكر ملازمًا له، فسأل الله الدّوام على شكر النّعمة، وأيضًا امتدّ الأمر بالنّعمة الّتي على والديه، وسأل الله دوام الشّكر على النّعمة، وشَكَرَ النّعمة على والديه لما في الشّكر من دليل على صلاح النّفس وطهارتها، ولما فيه من الثّواب ومن ازدياد النّعم.

وقد كثر كلام أهل العلم في قوله تعالى: {لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ}[24] وكما يُقال: "النّعمة وحشية قيّدوها بالشّكر"، يعني النّعمة تستوحش الأماكن فإذا كنت أنت شاكرًا ستقيّدها بالشّكر فلا تشرد منك، فلذلك قالوا "النّعمة وحشيّة قيّدوها بالشّكر فإنّها إذَا شُكرت قَرّت وإذا كُفرت فَرّت".

ومن يشكر فإنّما يشكر لنفسه، فالأثر والعودة سيكون على النّفس، وهذا ما سيتبيّن لنا إن شاء الله في اللّقاء القادم في إكمال كلام سليمان -عليه السّلام- وكيف بيّن أنّ هذه العطيّة اختبار له.

فليُعلم أنّ كفران النّعم بوار، وليُعلم أنّه حينما يصاب الإنسان في نعمة قليلًا ما ترجع على حالها. فأنت يا عبد لا بدّ أن تكون متذكّرًا نعماء الله، فإذَا كان الإنسان لا يرجو لله وقارًا، هذا سبب لزوال ستر الله عنه، ولزوال فضل الله عليه، وانظر لحال الشّاكرين على الحقيقة كيف أنّه طَلب من ربّه أن يُزِيلَ عنه كلّ سبب يمنعه من الشّكر، وبالغ في الشّكر حتّى أدرج والديه، لأنّ صلاح الولد نعمة على الوالدين بما يُدخل عليهما من مسرّة في الدّنيا وبما يناله من دعائه وصدقاته.

---

[24]() سورة إبراهيم: 7.

فالعبد الشّاكر يشكر ربّنا على النّعمة الّتي عليه، ويرى أنّ توفيق الله له للطّاعات نعمة أيضًا على والديه. فهذا كان دعاؤه، أراد بذلك أن يزيده الله من وصف الشّاكرين، وأيضا أن يزيده من عمل الشّاكرين، فقال: {وَأَنْ أَعْمَلَ} عملًا يجعلني {صَالِحًا}.

{أَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ} معنى ذلك فاجعلني ممّن تمتّع بشكر نعمائك الّتي أنعمتها عليّ وعلى والديّ، واجعل من شكري لك العمل الصّالح الّذي ترضاه. وهذا يؤكّد أنّ الشّكر باللّسان يستوجب العمل بالجوارح، فالشّاكر بلسانه لا بدّ أن يكون عاملًا بجوارحه، يعمل صالحًا يرضاه ربّ العالمين.

- فإذًا طلب من ربّنا الإعانة على الشّكر.
- والإعانة على العمل الصّالح الّذي هو أيضًا من الشّكر.

فلمّا طلب في الدّنيا الإعانة على الخيرات، الّتي هي الشّكر بالقلب واللّسان، والشّكر بالجوارح بعمل الصّالحات، طلب أن يجعله في الآخرة من الصّالحين، في الدّنيا أعنّي أن أكون شاكرًا بقلبي ولساني وجوارحي وفي الآخرة اجعلني من الصّالحين.

{وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ} فإنّ دخول الجنّة ما يكون إلّا برحمة الله وفضله، ولا يوجد استحقاق من جهة العبد. فسليمان -عليه السّلام- في دعائه هذا طلب ما يكون وسيلةً إلى ثواب الآخرة أوّلًا، ثمّ طلب ثواب الآخرة ثانيًا:

الأمر الأوّل: أمّا الوسيلة فهي شكر النِّعم السّالفة وبقاؤه مشتغلًا بشكر النّعم، هذا الأمر الأوّل.

والأمر الثّاني: الاشتغال بالأعمال الصّالحة الدّالة على الشّكر.

وكان واضحًا لنا أنّه مُشتغل بشكر النّعمة عليه وعلى والديه الّتي لها أشكال متعدّدة هذه النِّعم، واشتغل بطلب العمل الصّالح الّذي هو من الشّكر، وطلب ثواب الآخرة بقوله {وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ} و"العباد الصّالحين" هم أصحاب الصّلاح الكامل ويُقصد بهم الأنبياء والمرسلون.

والحمد لله ربّ العالمين، هذا منتهى كلامنا اليوم وإن شاء الله غدًا نُكمل الكلام عن فهم سليمان حقيقة هذا الابتلاء الّذي ابتلاه الله به من النّعم، وكيف كان شكره وثناؤه ودعاؤه لربّه في باقي سورة النّمل.

سبحانك اللّهمّ وبحمدك، أشهد أن لا إله إلّا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

اللّقاء الثّالث

دعاء سليمان -عليه السّلام- في سورة النّمل

الموطن الثّاني: الآية (40):

{قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ}

مسألة:

طريق السّعداء (سليمان -عليه السّلام- نموذجًا)

سليمان -عليه السّلام- نموذج واضح للسّعداء الّذين عرفوا حقيقة الحياة وحقيقة العطاء

المقدّمة: طريق السّعداء (سليمان -عليه السّلام- نموذجًا)

السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على نبيّنا محمّد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

نحمد الله حمدًا كثيرًا طيّبًا مباركًا أن فتح لنا أبواب السّعادة ويسّرها للمؤمنين المتّقين، فإنّ السّعادة تكون بالنّفوس الرّاضية، المستبشرة، قويّة الإيمان، الّتي تعلم حكمة الرّحمن من وجودها وممّا يمرّ عليها من السّرّاء والضّرّاء، فالسّعداء هم الّذين عرفوا حقيقة الحياة ومهما تقلّبت بهم الدّنيا بين حلوها ومرّها فإنّهم يكونون راضين حامدين شاكرين، فهؤلاء لم تأت لهم السّعادة من تلاهيهم وغفلتهم بل من تفكيرهم وجدّهم وبحثهم وسيرهم حتّى وصلوا إلى هذا الاستقرار النّفسي.

ولننظر في حال نبيّنا محمّد -صلّى الله عليه وسلّم- الّذي ((كَانَ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ حَتَّى تَتَفَطَّرَ قَدَمَاهُ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: لِمَ تَصْنَعُ هَذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ قَالَ: أَفَلاَ أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْدًا شَكُورًا))[25].

وطريق هؤلاء السّعداء بفضل الله يسير، لكن يحتاج إلى تنبّه ومعرفة، ولننظر إلى أيّ درجة هو يسير، قد قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: ((إِنَّ اللَّهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا))[26] فحتّى هذه اللّقمة الصّغيرة الّتي لا نُلقي لها بالًا هي من نِعَمِ الله من الجهتين، هذه قطرة الماء الّتي نبلّ بها ريقنا ونحن في غاية العطش، نعمة من الجهتين:

1. من جهة ما يحصل لك في هذه الأكلة وفي هذه الشّربة من راحة في البدن.
2. ومن جهة أنّك إذا حمدت -رضي الله عنك- ((إِنَّ اللَّهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا)) الأكلة والشّربة يحمده عليها فيرضى عن العبد، وإذا رضي الله عن العبد كان هذا طريق السّعادة.

---

[25]() أخرجه البخاري (4574).

[26]() أخرجه مسلم (5044).

ولذا فيما قرأنا وتدارسنا في حقّ سليمان -عليه السّلام- كيف ظهر الحرص على شكر نعماء الله {لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ}[27].

وفيما نعرف عن الثّلاثة في بني إسرائيل، الأبرص والأقرع والأعمى وكيف أنّه ((بَدَا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكًا)) وأتى على كلّ واحد منهم وسألهم ماذا يتمنّون، فعند الأبرص ((قَالَ: لَوْنٌ حَسَنٌ، وَجِلْدٌ حَسَنٌ)) وعند الأقرع ((قَالَ شَعَرٌ حَسَنٌ، وَيَذْهَبُ عَنِّي هَذَا، قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ)) إلى أن وصل إلى الأعمى وأعطي كلّ منهم ما أعطي ثمّ اختلفت أحوالهم بعد ذلك في النّتائج، كيف نسوا فضل الله ونعمة الله، وكيف يقولون: ((لَقَدْ وَرِثْتُ لِكَابِرٍ عَنْ كَابِرٍ)) في مقابل أنّ الأعمى لـمّا أتاه الملَك ((فِي صُورَتِهِ، فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ وَابْنُ سَبِيلٍ وَتَقَطَّعَتْ بِيَ الحِبَالُ فِي سَفَرِي)) وذكّره قال: ((أَسْأَلُكَ بِالَّذِي رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ شَاةً أَتَبَلَّغُ بِهَا فِي سَفَرِي)) اعترف الأعمى ((فَقَالَ: قَدْ كُنْتُ أَعْمَى فَرَدَّ اللَّهُ بَصَرِي، وَفَقِيرًا فَقَدْ أَغْنَانِي، فَخُذْ مَا شِئْتَ)) وبيّن له الملَك بعد ذلك أنّه ((أَمْسِكْ مَالَكَ، فَإِنَّمَا ابْتُلِيتُمْ، فَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْكَ، وَسَخِطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ))[28].

فهذه قضيّة مهمّ جدًّا أن نفهمها في هذه الحياة، أنّ طريق السّعداء هو:

- معرفة الله.
- ومعرفة اختبار الله لنا الّذي يدور في هذا الفلك وهو الشّعور بالابتلاء والاختبار الّذي نحن فيه.
- ومن ثمّ هناك من يسعد وهناك من يشقى.

فالسّعيد هو من نجح في الاختبار ونجاحه في الاختبار بشعوره بنعمة الله ونسبتها إلى الله، والشّقيّ هو من فقد الرّضا عن الله، جهل بالله وجهل بالاختبار ومن ثمّ تأتيه النّعم فتكون سببًا للبطر، وتذهب عنه فلا تكون سببًا للصّبر.

وقد ورد في الحديث، وهذا الحديث نسأل الله -عزّ وجلّ- أن يجعلنا في غاية اليقظة له، وقد أورد هذا الحديث البخاري في صحيحه في كتاب الاعتصام، والنّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- يحكي هذا الحديث لأصحابه، فجابر -رضي الله عنه- يحكي لنا هذا الحديث الّذي

---

[27]() سورة إبراهيم: 7.

[28]() أخرجه البخاري (3305).

سمعه من النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- قال جابر رضي الله عنه: ((جَاءَتْ مَلاَئِكَةٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ نَائِمٌ)) فقالت الملائكة: ((إِنَّ لِصَاحِبِكُمْ هَذَا)) يعني محمّد -صلّى الله عليه وسلّم- والملائكة تخاطب بعضها بعضًا ((إِنَّ لِصَاحِبِكُمْ هَذَا مَثَلًا)) يعني له صفة عجيبة ((فَاضْرِبُوا لَهُ مَثَلًا)) يعني بيّنوا له هذه الصّفة ((فَقَالَ بَعْضُهُمْ:)) بعض الملائكة ((إِنَّهُ نَائِمٌ)) فلن يسمعنا ولن يفيد ضرب المثل شيئًا ((وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ العَيْنَ نَائِمَةٌ، وَالقَلْبَ يَقْظَانُ)) فلا يفوته شيئًا ممّا تقولون، فإن كانت حواسّه الخارجيّة نائمةً لكن هو -صلّى الله عليه وسلّم- قلبه يقظان، فهذا حوار الملائكة، وهم سيضربون الآن له مثلًا، ولنتأمّل في المثل لأنّه يمثّل لنا طريق السّعادة: ((فَقَالُوا : مَثَلُهُ كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى دَارًا، وَجَعَلَ فِيهَا مَأْدُبَةً وَبَعَثَ دَاعِيًا)) يعني يمثّلون دعوة النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- بهذه الصّورة: أنّ الدّار بناها الله وجعل في الدّار مأدبةً، وهي الطّعام الّذي يُدعى النّاس إليه مثل الوليمة، وبعث داعيًا يدعو النّاس إليها ((فَمَنْ أَجَابَ الدَّاعِيَ دَخَلَ الدَّارَ وَأَكَلَ مِنَ المَأْدُبَةِ ، وَمَنْ لَمْ يُجِبِ الدَّاعِيَ لَمْ يَدْخُلِ الدَّارَ وَلَمْ يَأْكُلْ مِنَ المَأْدُبَةِ)) سيؤوّلونها للنّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- يعني فسّروا هذا المثل للنّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- ((فَالدَّارُ)) الممثّل بها هي ((الجَنَّةُ ، وَالدَّاعِي)) هو ((مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)) وباني الدّار هو الله -عزّ وجلّ- ثمّ قالت الملائكة: ((فَمَنْ أَطَاعَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ)) لأنّ محمّدًا -صلّى الله عليه وسلّم- رسول صاحب المأدبة فمن أجابه ودخل في دعوته أكل من المأدبة، بهذا معلوم أنّ الدّار هنا يُقصد الجنّة والمأدبة ما في الجنّة من نعيم، فبهذه الصّورة الّتي وصفتها الملائكة تصوّرنا حال السّعداء في مقابل: ((وَمَنْ عَصَى مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ))[29].

فالدّنيا الّتي هي دار ابتلاء خلقها الله -عزّ وجلّ- ليدعو النّاس إلى مأدبته، ليَظهر لهؤلاء طريق السّعادة، فإنّ الله ابتدأ خلق الخلق لأجل أن يكون البشر المخلوقين آدم وأبناؤه سائرين في طريق السّعادة، أراد بهم خيرًا وهو الغنيّ عنهم، أراد أن يَظهر للخلق صفاته -سبحانه وتعالى- فيستفيدوا من صفاته فينتفعوا بها. خلق خلقًا وهو الغنيّ عنهم جميعًا لأجل أن يقع على هذا الخلق من آثار كماله ما يجعلهم في حالة من السّعادة، وهو غنيّ عنهم سبحانه وتعالى.

---

[29]() أخرجه البخاري (6890).

خلق الملائكة الكرام عابدين طائعين، أهل السّعادة التّامّة، وعرفوا من صفاته وكماله ما جعلهم في غاية السّعادة. وبنو آدم خُلقوا وابتُلوا أنّهم لا يدخلون دار السّعادة إلّا بعد اختبار، وسهّل لهم طريق الاختبار ويسّره لهم، وأوعدهم جنّات النّعيم وأرسل لهم رسولًا يدلّهم على مأدبته، وكلّ الأمر لتصل إلى هذه السّعادة أن تسير وراء هذا الرّسول الكريم، هذا بالنّسبة لأمّة النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم.

سنرى في حال سليمان -عليه السّلام- كيف يظهر هذا الأمر، وهو الابتلاء والاختبار حتّى يسير الإنسان إلى دار السّعادة مطمئنًّا ولا يأخذه عن دار السّعادة أو يمنعه شيء، نسمع الآيات المراد بيان معناها إن شاء الله ثمّ نبدأ في مناقشة هذا الأمر.

3/ دعاء سليمان -عليه السّلام-

في سورة النّمل

الموطن الثّاني: الآية (40):

{قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ}

دعاؤه -عليه السّلام- في الموطن الثّاني من سورة النّمل *(40)*

{وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ (20) لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (21) فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ (22) إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ (23) وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ (24) أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (25) اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ۩ (26) ۞ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (27) اذْهَب بِّكِتَابِي هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ (28) قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ (29) إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ (30) أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (31) قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ (32) قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ (33) قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ (34) وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ (35) فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ (36) ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ (37) قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (38) قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ (39) قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ}[30].

وصلنا هكذا إلى موطن الشّاهد، وهو قوله تعالى من كلام سليمان عليه السّلام: {قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ}.

[30]() سورة النّمل: 20-40.

نعود من أوّل السّياق، وقد كانت بداية كلامنا عن سليمان -عليه السّلام- كيف أنّ الله -عزّ وجلّ- آتاه هذا الملك العظيم فكان -عليه الصّلاة والسّلام- وعلى نبيّنا -أفضل الصّلاة والسّلام- ممّن وُفّق فشكر. فمرّ معنا مروره على وادي النّمل، وكيف قالت النّملة: {يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ}[31] وكيف أنّها عرفت حالة سليمان وجنوده، وعرفت عظمة ملكه وسلطانه، وعرفت ما اشتُهر عنهم من العدل والبعد عن الظّلم. فتبسّم من هذا القول ضاحكًا إعجابًا بها وبفصاحتها ونُصحها، وأيضًا شعورًا بمنّة الله -عزّ وجلّ- ولذلك قال وهذا دعاؤه الّذي ناقشناه: {رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ}. وقد وقفنا عند "أوزعني" وتبيّن لنا أنّ هذه الكلمة من أعاجيب الكلمات في القرآن، ومعناها لطيف جدًّا بحيث أنّ الإنسان يطلب من ربّ العالمين أن يُزيل عنه كلّ شيء يكفّه عن شكره، لأنّنا اتّفقنا أنّ الهمزة هنا همزة الإزالة "أوزعني"، و"وَزَعَ" بمعنى كفَّ، فأوزعني يعني أزل عنّي كلّ ما يكفّني عن شكرك.

هكذا نفهم أنّنا في دعائنا هذا ضدّ الوزع الّذي هو الكفّ، يعني اجعلني ممّن لَازَمَ شكرك، فلا ينفلت عنّي شيء من نعمائك إلّا وأنا شاكر لك، وامنعني من أن أكفر نعمتك، يعني احفظني من أنّني أكفر نعمتك، فهذا توسّل عظيم لربّ العالمين يدلّ على أنّ سليمان -عليه السّلام- سار في طريق السّعداء الشّاكرين لنعمة الله.

ثمّ بعد هذا الدّعاء الّذي طلب فيه من الله أن يوزعه شكر النّعمة {الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ} وقد عرفنا كيف أنّه لو كان ابنًا صالحًا يشكر الله -عزّ وجلّ- على أنّ الله جعله صالحًا لصلاح نفسه ولنفع والديه، فيشعر بالنّعمة على والديه من جهة أنّ الله أصلح لهم ولدًا، فيكون صلاح هذا الولد سببًا لسعادة الوالدين، وكلّها من منّة الله. وطلب من ربّ العالمين أن يكون ممّن وُفّق للعمل الصّالح الّذي يرضاه الله، وهكذا هي حال السّعداء، دائمًا يرجون أن يكونوا ممّن رضي الله عنهم.

في النّهاية نعرف أنّ هذا الطّريق الّذي نسير فيه، إنّا لله فيه وإنّا إليه راجعون، فإذا رجعنا يا ربّ أدخلنا في رحمتك، {وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ}[32] أدخلنا في رحمتك يا ربّ، وما ندخل في رحمتك الّتي هي الجنّة إلّا برحمتك، فهذه هي حال السّعداء:

---

[31] () سورة النّمل: 18.

[32] () سورة النّمل: 19.

✔ شاكرين لأنعم الله.

✔ راغبين في العمل الصّالح الّذي هو دليل الشّكر العمليّ.

✔ متطلّعين إلى رحمة الله.

✔ في نهاية الأمر يسيرون وراء الدّاعي يرغبون في أن يدخلوا إلى الدّار وأن يأكلوا من المأدبة الّتي دعاهم إليها ربّهم.

لـمّا وُصف بهذا الوصف، وذكر الله -عزّ وجلّ- لنا نموذجًا من حال سليمان عند سماعه خطاب النّملة ونداءها، ذكر لنا نموذجًا آخر من مخاطبته للطّير، نحن مقصودنا في هذا النّموذج ليس الدّخول في تفاصيل الخبر إنّما معرفة حاله الّتي تُتمّم هذا المعنى: أنّه شاكر لنِعَمِ الله، فنمرّ سريعًا على الأخبار الّتي أتت إلى أن نصل إلى مقصودنا.

في بداية الخبر عرفنا أنّه حُشر لسليمان جنوده، وهم سائرون واجهوا هذه النّملة وما قالته وما قاله سليمان، ثمّ {تَفَقَّدَ الطَّيْرَ} وهذا دليل على سلوك سليمان -عليه السّلام- في مملكته فهو يباشر الأمور بنفسه، واقف عليها جميعًا، وهذا أمر يعرفه من يدير الأعمال، أنّ فيه من الصّعوبة ما فيه أن يباشر الإنسان كلّ المسؤوليّات بنفسه، لكن هذا من شكره لنعمة الله أن يكون مسؤولًا بالطّريقة الصّحيحة.

لـمّا تفقّد الطّير فقال: {مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ} ثمّ تَهَدَّده: {لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ} في مقابل هذا كان كما هو معلوم يتّسم بالعدل، سأفعل به هذه الأفعال إلّا لو أتاني {بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ} بحجّة تبيّن عذره.

{فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ} لبث الهدهد أمدًا غير طويل وأتى لسليمان وقال له: {أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ} وهي مدينة معروفة {بِنَبَإٍ يَقِينٍ} المتأمّل في الآيات أكيد سيعرف أنّ سليمان -عليه السّلام- لا يعلم الغيب؛ لأنّ الهدهد أتاه بخبر، ونبّهه في الخبر فقال: {أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ} وهذا من عجائب الصّفات، أن يكون عنده هذا الملك كلّه لكن ما يعرف أين غاب الهدهد، ويأتي الهدهد يقول له أنا أحطت بما لم تحط به.

فمهما عظم ملك الإنسان لكنّه لا شيء أمام صفات الرّحمن -سبحانه وتعالى- ما تمتلئ العين بأيّ أحد من الخلق لأنّ صفاتهم لا زالت ناقصةً والكمال لله وحده، سليمان الّذي سُخِّرَ

له الإنس والجنّ والطّير ويغوصون ويفعلون له، وله مملكة عظيمة لكنّه في النّهاية ما يعلم الغيب، فهذا دليل على أنّ كلّ الملك الّذي هو عنده إنّما هو هبة من الله، أشير إلى ذلك فقط بالمناسبة.

ماذا وجد الهدهد؟ يحكي لسليمان ماذا وجد عند قوم سبأ: {إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ} ثمّ يأتي بالخبر التّفصيلي: وأوتيت هذه المرأة من كلّ ما يحتاج إليه الملوك {وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ}، وأشار إلى العرش للدّلالة على كثرة الحاشية وكثرة المستشارين، فالعرش العظيم يدلّ على الملك العظيم لكنّه ما اهتمّ بهذا، اهتمّ بما يعبدون، هذا هو الخبر المهمّ، وسليمان -عليه السّلام- سائر في الأرض يجاهد في سبيل الله ويدعو إلى التّوحيد، وقد أتى له بالخبر المهمّ: {وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ} يعبدون الشّمس تاركين عبادة الله {وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ} الّتي هي عبادة الشّمس، {فَصَدَّهُمْ} بسبب ذلك {عَنِ السَّبِيلِ}، فهم يرون أنّ تصرّفهم سليم، وأنّ عبادتهم للشّمس في مكانها.

وغالب النّاس الّذين لهم علاقة بالزّراعة لهم علاقة بعبادة الشّمس؛ لأنّهم يرون أثرها على محصولهم وأثرها على زراعتهم، ويعتبرونها من هذه الجهة أهلًا للعبادة، ويرون أنّ تصرّفهم سليم، وأنّه يوصلهم إلى السّعادة!

{فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ} حكم عليهم أنّهم بهذه الحالة "لا يهتدون" بسبب تزيين الشّيطان لهم، و"لا يهتدون" لأنْ يسجدوا لربّ العالمين، فهي صاحبة ملك وصاحبة عرش هائل مزخرف بأنواع الجواهر، لكنّها في نهاية الأمر تعبد الشّمس، ولذلك قال: {أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ} يعني هلّا يسجدوا لله! فالشّيطان صدّهم عن السّبيل لئلّا يسجدوا لله فهم "لا يهتدون" إلى أن يسجدوا لله الّذي هو طريق السّعداء.

ثمّ يعرّف الهدهد الموحّد شيئًا من صفات الله الّتي يعرفها هو خاصّةً: {لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} الّذي يظهر ما هو مخبوء فيهما من ماء ونبات ومعادن، وذكر كثير من المفسّرين أنّ إشارته لهذه الصّفة خاصّة لله لأنّ الهدهد له معرفة بالماء تحت الأرض، وهذا يُسأل عنه المختصّون، بمعنى أنّ الهدهد يُسَلَّطُ على بعض الأراضي ليرى أين الماء مَخْبُوء فيحفروا ويُخرجوا الماء، وهذا نوع إلهام فهو -سبحانه وتعالى- يعطي كلّ

طير ويعطي كلّ حيوان نوعًا من القدرات الّتي حينما تسمعها وتعرفها تسبّح الله، فهذا طائر مثلًا يرى في الظّلام، وهذا طائر يستطيع أن يطير مسافات عاليةً وهكذا.

فكلّ إنسان مختصّ بصناعة أو فنّ من فنون الحياة أو شيء من العلم فإنّه يرى آثار عظمة الله، ومن بين هؤلاء النّاس الّذين هم في الزّراعة أو في الصّناعة وكلّ في بابه يعلم عظمة الله لو تبصّر، لو نظر بنور من الله، وهذه البهائم عندها ما تعرف به الله، سبحان الله!

{اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ} وهنا مناسبة لطيفة بين ذكر عرشها الّذي هو مصنوع من المصنوعات الّتي يصنعها النّاس، فسبأ لها عرش لكن عرشها على قدر ملكها، وعظمة عرشها على قدر المخلوق لكن العظمة الحقيقيّة لربّ العالمين، فهو {لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ} وهو {رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ} فما أصغر عرشها في جانب عظمة عرش الله، وما أضعف معبودها الّذي هو الشّمس في جانب عظمة الله -عزّ وجلّ- فـ{اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ} محيط بكلّ شيء {رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ} المحيط بالشّمس وسائر الكواكب وكلّ شيء.

فكان هذا التّعريف من جهة الهدهد، مقابل هذا قال سليمان إجراءات ليعرف هذه الحقيقة: {سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ} لأنّه في موقف اعتذار عن تأخّره. {اذْهَب بِّكِتَابِي هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ} أمره أن يأخذ كتابًا ويلقيه عليهم، {فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ}.

وقع الكتاب عندها، أخذته وقرأته على ملئها وبيّنت لهم ماذا يريد سليمان، وبيّنت أنّها صاحبة مشورة لا تبتّ أمرًا إلّا بمشورتهم. فأشاروا عليها بالاستكبار قالوا لها: {نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ} في العَدَدِ والعُدَدِ {وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ} بلاءً في الحرب لكن في النّهاية {الْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ} نقاتل أو نصطلح معه، انظري ما هو الأسلم.

فقالت كلامًا يدلّ على عقلها ويبيّن فهمها أنّ المتسلّطين المتكبّرين {إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً} بالقهر والقتل والأسر والنّهب، فأنا سأجرّبهم وسأرسل لهم هديّةً {فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ} سأرسل إلى سليمان وملئه رُسلًا بهديّة تبيّن شبه الانقياد فما يختلّ شرفنا وفي نفس الوقت لا يهجمون علينا ويذهبون بملكنا.

لـمّا جاء سليمان المرسلون منها بهذه الهديّة بيّن لهم أنّه في غنًى عنها {فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم} فأنا لست جامعًا للمال ولا أبالي بجميع ما عندكم وليس فقط بهديّتكم {بَلْ أَنتُم

بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ} وإنّما أنتم الّذين إذا أُهدي إليكم تفرحون استكثارًا وافتخارًا، أمّا نحن فنقاتل من أجل عقيدة وليس من أجل أن نحصل على مالكم.

فهذا الفرق بين أهل الإيمان وهم يخرجون لفتح الدّنيا، وبين أهل الكفر عندما يهجمون ويريدون استملاك مقدّرات النّاس وما عندهم في أرضهم من خيرات. فأراد سليمان -عليه السّلام- في هذا الموقف بيان أنّهم لا يقاتلون من أجل المال، ولا يتنافسون من أجله، ولا قَدْرَ لهذا المال عنده، فهذا بالنّسبة له لا شيء في ملكه، وسليمان -عليه السّلام- لا يحبّ الملك لأجل الملك لذلك قال لهم: "بل أنتم بما يُهدى إليكم تفرحون حبًّا لزيادة المال لأنّكم لا تعلمون إلّا ظاهرًا من الحياة الدّنيا" فلم يكن طلبه للملك لأجل الملك والمال إنّما طلبه للملك لأجل أن يُسَخَّرَ هذا الملك في طاعة الله، ويُسَخَّرَ هذا الملك ليزداد المؤمنون في الأرض، فقال: "ارجع إليهم أيّها الرّسول إلى مملكة سبأ ووالله لنأتينّهم {بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا} لا طاقة لهم بمقاومتها {وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا} من سبأ {أَذِلَّةً} بسبب شركهم وليس لسبب الحصول على مالهم {وَهُمْ صَاغِرُونَ} أُسارى مهانين".

فبدا لسليمان -عليه السّلام- طريقةً لدعوة هذه المرأة إلى الإسلام، الّذي يظهر أنّها ردّت عليه بأنّها قادمة إليه حتّى تنظر ما الأمر وما الّذي يدعوها إليه، فإذا كنت لا تريد الملك فماذا تريد هل تدعوني إلى دين؟! فالّذي يظهر أنّها أرسلت إليه بأنّها قادمة للتّفاهم، وأتته الأخبار بأنّها سائرة إليه مستسلمة له، وتريد أن تعرف ما هو هذا الدّين، فبدا له أن ييسّر عليها مسألة الإسلام بأن يبيّن لها ما أعطاه الله من قدرات، فإنّ ما يظهر على المسلم من عطايا الله وهو ينسبها إلى الله تجعل الخلق يؤمنون بالله، وهذا مثل أن يأتي طبيب مسلم قد وفّقه الله -عزّ وجلّ- لأعمال تنفع النّاس، فإنّه حينما يقول لهم: (إنّ هذا ليس بقوّتي إنّما بقوّة الله، فالله -عزّ وجلّ- هو الّذي أقدرني على ذلك، والله هو الّذي وفّقني، والله هو الّذي يسّر لي) فإنّ هذه تكون عن مائة خطبة يخطبها العلماء أو طلبة العلم في النّاس، لماذا؟ لأنّهم يرون إنسانًا قد مكّنه الله من أمر فنسبه إلى الله، وعرف حقّ الله فيه، فيكون له أثرًا أكثر من الكلام، وإن كان الكلام له أثر عظيم، لكن هنا الكلام اجتمع مع الفِعَال، وكأنّه يُقال لو أنجز الإنسان إنجازًا فهذه فرصته ليفتخر بنفسه، لكن عندما ينجز إنجازًا يكون عند النّاس محسوبًا على أنّه إنجاز، بينما يكون عنده هو محسوبًا أنّه عطيّة الله، فيُبدي للنّاس أنّ الله هو الّذي أعطاه، وهذا يكون له أكثر أثرًا.

وهذا ما أراده سليمان -عليه السّلام- والله أعلم، أن يبيّن لها عطايا الله لتعرف الله من خلالها؛ لأنّها لا تعرف إلّا الشّمس أنّها عظيمة، فبدا له أن يأتي بعرشها الّذي تراه هي عرشًا عظيمًا وأنّه من أدلّة سلطانها، ومثل هذه العروش تكون محفوظةً ويكون عليها حرس، فأراد أن يريها بعضًا ممّا خصّه الله -عزّ وجلّ- بسلطانه بإجراء هذا الأمر العجيب الّذي يدلّ على عظمة قدرة الله وصحّة نبوّة سليمان، وأيضا يختبر عقلها فينكّر عرشها فينظر أتعرفه أم لا، وهذا كلّه قبل أن يأتوه فيكون هذا دليلًا على سرعة الإتيان به.

فعرض سليمان -عليه السّلام- هذا الأمر على جُلسائه، فردّ عفريت من الجنّ ممّن سخّره الله له، أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك، يعني هذه المدّة الزّمنيّة قبل أن تقوم من مقامك هذا {وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ} لا يثقل عليّ ولا أختزل منه ولا أبدّل منه شيئًا {قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ} والّذي يظهر أنّ هذا من الجنّ لكنّه أقوى من السّابق، والظّاهر أنّ "عنده علم من الكتاب" عنده من الإيمان ومن المعرفة ما يجعله أقوى. قال له: {أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ} والطّرف هو تحريك الأجفان الّتي نفتحها ونغلقها، فجعل ميقات هذا أنّه "قبل أن يرتدّ إليك طرفك" فتحقّق الأمر.

الحقيقة المهمّة الّتي على الإنسان أن يذكّر نفسه دائمًا بها ليكون سعيدًا!

وأمره أن يأتي به، فأتاه في طرفة عين {فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ} هنا الشّاهد: لـمّا رأى العرش حاضرًا لديه، استجمع في قلبه هذه الحقيقة المهمّة الّتي على الإنسان أن يذكّر نفسه دائمًا بها ليكون سعيدًا أنّ {هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي} وكلّ ما أتمتّع به من قوًى إنّما هو من فضل ربّي، وهذا يقوله سليمان -عليه السّلام- ويقوله كلّ مؤمن يعرف حقيقة وجوده في الحياة أنّ الله -عزّ وجلّ- قد مَنَّ عليه بفضائل عظيمة من أهمّها أنّ العبد يعرف الله.

فقال سليمان -عليه السّلام- تلقّيًا للنّعمة بالشّكر وهذا ما يجب أن يكون من كلّ العباد المؤمنين: {هَٰذَا} أي حضور العرش بين يديّ في هذه المدّة القصيرة {مِن فَضْلِ رَبِّي} الّذي تَفَضَّلَه عليّ من غير استحقاق له من قِبَلِي، فابتداءً بوجود الحياة نفسها ما كان لنا فيها قوّة ولا قدرة فَمَنَّ الله -عزّ وجلّ- علينا بالحياة وخلقنا وأراد منّا أن نسمو إلى درجات الكمال، أراد منّا أن ندخل هذا الاختبار الّذي هو في الدّنيا لأجل أن تكون نهايتنا الدّار الّتي بناها -سبحانه وتعالى- وندخل نأكل من المأدبة الّتي جعلها لمن استجاب للدّاعي، فوجودنا في الحياة منّة من الله، ووجود الحياة في كلّ إنسان منّة من الله، وهبنا هذه المنّة الّتي هي الحياة،

وشرع لنا طريقًا للوصول إلى السّعادة الأبديّة وأذاقنا في الدّنيا أشياء من السّعادة، وأعظم السّعادة هي أن تكون راضيًا عن الله، وتشعر بعطيّة الله ابتداءً بوجودك وانتهاءً بتوفيقك لطريق السّعادة.

فقال {هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي} الّذي تفضّل به عليّ من غير استحقاقٍ لي فقد ابتدأني بالنّعماء من وجودي وكمّل لي هذه النّعماء بكلّ ما أعطاني الله. وكلّ هذا الّذي تفضّل به علينا، ما الغاية من ورائه؟ الغاية من ورائه الاختبار {لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ} فكلّ هذا محض فضل من الله من غير حول ولا قوّة من جهتي، أعطانا الله -عزّ وجلّ- إيّاه اختبارًا لنا، ففي الاختبار هناك حالتان:

1. **الشّكر**، نسأل الله -عزّ وجلّ- أن يجعلنا جميعا من الشّاكرين.
2. **أو الكفر**، نعوذ بالله من ذلك.

أمّا الشّكر فهو أن لا يرى الإنسان لنفسه حقًّا على الله، ولا ينسب النّعمة لنفسه كما فعل قارون وكما فعل فرعون، إنّما ينسب النّعمة لله، ويراها من فضل الله ومن عطيّته فيثني على الله.

أو العياذ بالله يكفر بأن يجد لنفسه مَدخلًا فيقول فعلت، مثلما الابتلاء والاختبار للثّلاثة نفر من بني إسرائيل، الّذي مرّ معنا في أوّل الكلام، الأعمى وصاحبيه، كيف أنّ الأعمى وصل إلى طريق السّعادة بأن نسب النّعمة لله فشكرها، بينما صاحباه كفرا وقالا: ((لِكَابِرٍ عَنْ كَابِرٍ))!

فسائر النّعم الفائضة على العباد إنّما هي في الدّنيا اختبار، فالّذي يعبد الله وهذه الآن هي الكلمة المتداولة يعبد الله لأجل أيّ شيء؟ كلمة عبادة الله هي الشّكر بالضّبط، فالعبادة هي الشّكر {اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ}[33] فكلّ أمر تقوم به من صلاة أو صيام أو طاعات أو إنفاق أو تسبيح أو تكبير ففي النّهاية أنت تكون شاكرًا على النّعماء، وفي حقيقة الأمر أنّ الله ليس بحاجة إلى طاعتك ولا إلى شكرك، إنّما الأثر يكون على نفسك، ولذلك قال: {وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ} لماذا "من شكر فإنّما يشكر لنفسه"؟ لأنّه ليس هناك شكر إلّا ويعود خيره على الإنسان. انزع كلمة

---

[33]() سورة سبأ: 13.

(شكر) وضع كلمة (عبادة) كلّ عبادة من صلاة أو صيام أو غيرها هي في نهاية الأمر أمر يعود على نفس الإنسان ويوصله إلى السّموّ والعلوّ وراحة البال، ويوصله إلى السّعادة والاستقرار إذا قصد الله ولم يُرائي النّاس كم يكون في نفسه مُرتاحًا، إذا أخرج المال في سبيل الله كم تكون نفسه صافيةً، هذا معنًى عظيم نسأل الله أن ييسّر لنا فهمه وزيادة بيانه.

فليُعلم أنّ سليمان -عليه السّلام- نموذج واضح للسّعداء الّذين عرفوا حقيقة الحياة وحقيقة العطاء ابتداءً من إعطاء الله لنا نفوسنا بإحيائنا، وهذه النّعمة الأولى العظيمة الّتي هي وجودنا، فلا تكفر بأنّ وجودك في الحياة نعمة، وانتهاءً بكلّ الاختبارات أو كلّ العطايا وكلّ ما يمرّ به الإنسان، فإنّ كلّ هذا اختبار {لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن كَفَرَ} ولم يشكر {فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ} عن شكره {كَرِيمٌ} فلا يعاجله بالعقوبة، بل يُنعم على الخلق مع عدم الشّكر، فنعوذ بالله أن نكون ممّن كفر نعمة الله، ونسأله -سبحانه وتعالى- أن يشرح صدورنا لهذه المعاني العظيمة، ويثبّت في قلوبنا الإيمان ويجعله كالجبال الرّواسي، اللّهمّ آمين.

سبحانك اللّهمّ وبحمدك، أشهد أن لا إله إلّا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

فهرس دعاء سليمان -عليه السّلام- في القرآن الكريم

اللّقاء الأوّل 3
المقدّمة: مسألة: تعظيم القرآن الكريم من تعظيم الله -سبحانه وتعالى- 4
دعاؤه -عليه السّلام- في موطن سورة ص (35) 8
اللّقاء الثّاني 16
المقدّمة: مسألة: حقيقة فقر الإنسان لربّه() 17
الافتقار إلى ربّ العالمين هو عنوان لصلاح الإنسان: 17
صور واضحة لافتقار الأنبياء تمثّلت في الدّعاء: 18
ملخّص ما سبق في الموطن الأوّل من سورة ص (34-37) 20
دعاؤه -عليه السّلام- في الموطن الأوّل من سورة النّمل (15-19) 22
اللّقاء الثّالث 29
المقدّمة: طريق السّعداء (سليمان -عليه السّلام- نموذجًا) 30
دعاؤه -عليه السّلام- في الموطن الثّاني من سورة النّمل (40) 34
فهرس دعاء سليمان -عليه السّلام- في القرآن الكريم 42